علاقته بمروان بن الحكم والأمويين

ما قيل في الفصل السابق كان لرد الشبهات حول موقف أبي هريرة حال حياة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، ولكن المتقولين أبوا أن يقفوا ، فواصلوا كيل التهم عليه حول سيرته بعد مقتل عليّ رضي الله عنه وصوروه بمظهر الذي رمى نفسه في خضم السياسة الأموية ، منفذاً لها ، وداعياً إليها ، ولما كان أبو هريرة يعيش في المدينة ، ومروان كان والي المدينة من قبل معاوية رضي الله عنه ، فان غالب ما قيل من ذلك قرنوه بمروان .

ومروان بن الحكم الأموي القرشي هو ابن الحكم ابن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس ، ولد بعد الهجرة بسنتين ، وقيل بأربع ، واستعمله عثمان كاتباً ، وولي إمرة المدينة أيام معاوية ، وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد ، وكانت ولايته تسعة أشهر [1] .

ونظراً للموقف الصائب الذي وقفه أبو هريرة في الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه كما رأينا ، فان مروان ، بدافع من قرابته لعثمان رضي الله عنه ، وتثميناً لموقف أبي هريرة ، قد وطّد علاقته بأبي هريرة ووثقها ، حتى إن بعض تربية أولاده كانت على يد أبي هريرة فيما يبدو ، إذ يروي عنه ابنه عبد العزيز بن مروان ، والد الخليفة الراشد الخامس عمر [2] ، ويروي عنه الخليفة الفقيه عبد الملك بن مروان [3] ، وكلاهما ثقة عند أهل الحديث ،

---

(١) من ترجمة في التهذيب ١٠/ ٩١

(٢) التهذيب ٦/ ٢٥٦

(٣) التهذيب ٦/ ٤٢٢

خلا بعضهم ، استعظموا القتل الذي صاحب خلافة عبد الملك فضعفوه ، وإلا فان الاجماع منعقد على أنه من كبار الفقهاء قبل توليه الخلافة .

ونرى أن هذه الصلة القوية كان من نتائجها استخلاف مروان لأبي هريرة مرتين على المدينة حين كان يخرج حاجاً ، ولا غرابة في ذلك ، إذ أن أبا هريرة قد أصبح آنذاك ، بحكم موت جيل الصحابة الكبار أو تفرقهم في البلاد المفتوحة ، أحد أعيان الصحابة في المدينة ، وكان من المحتمل أن يستخلفه كل الأمراء ، مروان وغيره ، بل كأنه هو عين أعيان المدينة آنذاك ، لما تعارف عليه جمهور أهل المدينة من تقديمه في الصلاة في كل عهودها ، الأموية والعلوية ، كما رأينا في آخر الفصل السابق ، خصوصاً وأن لمروان سابقة عمر في توليته لأبي هريرة على البحرين .

وفي استخلاف مروان له وردت عدة نصوص .

أخرج مسلم بسنده إلى كاتب الإمام علي عبيدالله ابن أبي رافع قال : (استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج إلى مكة ، فصلّى لنا أبو هريرة الجمعة ..) [1] .

وأخرج هذا النص الإمام أحمد [2] والترمذي [3] والحميدي وابن أبي شيبة [4] ، وفي لفظ الحميدي أن أبا هريرة كان يؤم الناس .

و (مروان ولاّه معاوية المدينة سنة ٥٤ وصرفه عنها في ذي القعدة سنة ٥٧ ، وحج مروان بالناس في ولايته هذه مرتين ، سنة ٥٤ وسنة ٥٥ ، فاستخلافه أبا هريرة على المدينة إما في إحدى السنتين وإما في كليهما .) [5] .

ويدل على أنه في المرتين لفظ المضارعة الوارد في مصنف ابن أبي شيبة ، إذ أخرج بسند صحيح عن نافع (أن مروان كان يستخلف أبا هريرة .) [6] .

بل وقد تكون في غير أوقات الحج ايضاً ، إذ أخرج الطحاوي عن نافع قال (شهدت الأضحى والفطر مع أبي هريرة رضي الله عنه فكبر في الأولى سبع تكبيرات.) [7] ، فإمامته للناس في الفطر تدل على أنه كان مستخلفاً على المدينة في غير زمن الحج أيضاً لو أردنا أن نجزم بأن الأمراء كانوا لا يقدمون غيرهم ، لكن ذلك منقوض بما أثبتناه سابقاً من تقدم أبي هريرة للصلاة بعد خروج جارية ابن قدامة من المدينة وهو ذاك ليس بالأمير .

---

(١) مسلم ٣/١٥
(٢) مسند أحمد بشرح أحمد شاكر ١٣/٢٣٦
(٣) الترمذي ٢/٣٠٨
(٤) مسند الحميدي ٢/٤٣٤ ، مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ١٤٢/١١٣
(٦) من شرح احمد محمد شاكر للمسند ١٣/٢٣٦
(٦) المصنف ١/٢٤٠
(٧) معاني الآثار ٢/٣٩٩

وأخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبي هريرة أن معاوية كان يولي أبا هريرة إمرة المدينة، فاذا غضب عليه بعث مروان وعزله ؛ فلم يلبث أن بعث أبا هريرة ونزع مروان ، لكن هذا خلاف المتواتر من استخلاف مروان له فقط ، ووقع خطأ مطبعي في ص ١١٣ في أرقام الحواشي يوهم أن فعل معاوية هذا وارد في المسند ، والصحيح أن ما في المسند ما ذكرناه آنفاً .

وكان أبو هريرة مدة ولايته على المدينة يقضي بين الناس ويقيم الحدود ، وأخبار قضائه ذكرها وكيع والدولابي [1] . .

* * *

هذه الصلة بين مروان وأبي هريرة لم يتركها أعداء أبي هريرة دون أن يحاولوا تشويهها واستغلالها لرميه بتهم باطلة صورت أبا هريرة بصورة النهم الحريص على تحقيق المصالح الدنيوية من وراء هذه الصلة عن طريق مداهنة مروان والتملق له ، وحاشا أبا هريرة أن يكون كذلك ، وإن نفسه لأرفع من أن تحدثه بمثل هذه السيرة ، لكنها طاعة الامراء المفروضة على المسلمين ما لم يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فان لم يكفروا ووقفوا عند ظاهر الشريعة وأحكام الحلال والحرام وحملوا عقيدة التوحيد كانت طاعتهم واجبة ، وإن هنا أحدهم ووقع في معصية من المعاصي أو خطأ من الأخطاء أمروه بالمعروف ونهوه عن ذلك المنكر الذي أتاه .

وهكذا كان أبو هريرة بحمد الله ، مطيعاً لمروان كأمير ، لكنه لم يترك تنبيهه على بعض هفوات بدرت منه ، ولم يترك تحذيره ونصحه نصحاً عاماً من أن تستهويه الدنيا .

فمن نصحه العام لمروان ما أخرجه البخاري من طريق شيخه موسى بن اسماعيل عن عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد القرشي قال أخبرني جدي قال : (كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومعنا مروان . قال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش ؛ فقال مروان : لعنة الله عليهم غلمة . فقال أبو هريرة : لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت .) [2] .

وأصرح منه لفظ الحاكم عن مالك بن ظالم قال: (سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول (لمروان بن الحكم..)[3] ويسرد الحديث ثم يقول : وقد شهد حذيفة بن اليمان بصحة هذا الحديث . وفي لفظ الحاكم وغيره : (غلمة سفهاء) ؛ لكن يبدو أن هذه اللفظة لم ترد على شرط البخاري فأشار إليها في عنوان الباب فحسب قبل أن يسرد الحديث ، وهذا تعرض صريح بمروان ؛ يحذره أبو هريرة أن يكون من هؤلاء وإن كان لا يستطيع الجزم بذلك ،

---

(١) أخبار القضاة ١/١١١/١١٢ ، الكنى والاسماء ٢/٢٩، ١٣٦/٢

(٢) البخاري ٩/٦٠

(٣) المستدرك ٤/٤٧٠ بسند صحيح اقره الذهبي

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُسمّهم . وقوله إنه إن شاء سماهم من باب التخمين والقياس .

أفيتعرض بمروان بمثل هذا التعرض من يريد مداهنته وتحقيق المصالح الدنيوية ؟ !

ومن وعظه العام له أيضاً ما أخرجه الحكم عن يزيد بن شريك أنه كان عند مروان بن الحكم (فقال مروان للبواب : انظر من بالباب ؟ قال : أبو هريرة ، فأذن له . فقال : يا أبا هريرة : حدثنا شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليوشك رجل أن يتمنى أنه خرّ من الثريا ولم يَلِ من أمر الناس شيئاً .) [1] .

ومن يكن هكذا نصحه وتحذيره لا بد أن نجده مرشداً لمروان إذا أخطأ ، وقد أنكر عليه فعلاً في أكثر من مناسبة رأى فيها من مروان ما يخالف الأحكام .

من ذلك ما أخرجه مسلم عن سايمان بن يسار (عن أبي هريرة أنه قال لمروان : أحللت بيع الربا . فقال مروان : ما فعلت . فقال أبو هريرة : أحللت مع الصكاك وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام حتى يستوفى . قال : فخطب مروان الناس فنهى عن بيعها . قال سليمان : فنظرت إلى حرس يأخذونها من أيدي الناس .) [2] ، أي إن المسلم إذا اشترى طعاماً فلا يجوز له بيعه قبل استلامه هو من البائع الأول .

ومن ذلك نهيه مروان بغلظة عن اتخاذ التصاوير في قصره الذي شيده في المدينة ، إذ روى الامام أحمد عن أبي زرعة قال : (دخلت مع أبي هريرة دار مروان بن الحكم : فرأى فيها تصاوير وهي تبنى ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله عز وجل : (ومن أظلمُ ممّنْ ذَهَبَ يخلقٍ خلقاً كخلقي ، فليخلقوا ذرّة ، أو فليخلقوا حبّة ، أو ليخلقوا شعيرة .) [3] .

ورواه البخاري أيضاً لكن لم يشر إلى أنه دار مروان [4] ، ومسلم [5] ، والطحاوي [6] .

وأعنف من هذا مروره مرة أخرى على دار مروان وإغلاظه القول له وتذكيره له بوجوب الزهد وتحقير الدنيا في عينه ، فقد أخرج الحاكم عن أبي مريم مولى أبي هريرة قال : (مر أبو هريرة بمروان وهو يبني داره التي وسط المدينة قال : فجاست اليه والعمال يعملون ، قال : ابنوا شديداً وآملوا بعيداً وموتوا قريباً . فقال مروان : ان أبا هريرة يحدث العمال فماذا تقول لهم يا أبا هريرة ؟ قال : قلت : ابنوا شديداً وآملوا بعيداً وموتوا قريباً . يا معشر قريش — ثلاث مرات — اذكروا كيف كنتم أمس وكيف أصبحتم اليوم ، تخدمون أرقاءكم فارس

---

(١) المستدرك ٤/٩١ بسند صحيح اقره الذهبي
(٢) صحيح مسلم ٥/٩ ، مسند أحمد ٢/٣٢٩/٣٤٩
(٣) المسند حديث رقم ٧١٦٦
(٤) البخاري ٧/٢١٥
(٥) مسلم ٦/١٦٢
(٦) معاني الآثار ٢/٣٦٣

والروم ، كلوا خبز السميذ واللحم السمين ، لا يأكل بعضكم بعضاً ، ولا تكادموا تكادم البراذين ، كونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً . والله لا يرتفع منكم رجل درجة إلا وضعه الله يوم القيامة .) [1] .

فهل يكون لسان المداهن مثل هذا اللسان ؟

وكيف يسأل أبو هريرة مروان من متـاع الدنيا وهو الذي يروي قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه .) [2] .

وكيف يطلب أبو هريرة الدنيا من مروان أو من غيره وهو يروي حديث: ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم ، أحدهم : (رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فان أعطاه منها رضي ، وإن لم يعطه منها سخط .) [3] . وفي لفظ (فان أعطاه ما يريد وفى له ، وإلا لم يف له .) [4] .

وما حاجة أبي هريرة من الدّنيا وهو الذي عاش متجرداً للتعليم ؟

إن علاقة أبي هريرة بمروان علاقة عادية مبنية على فقه صحيح يقرن الطاعة بالأمر بالمعروف في آن واحد ، ولم يثبت تقول المتقولين ، وهيهات أن يثبت ، وما كان بالظالم لنفسه ولا بالمبتدع في طاعته هذه ، فـ (مروان رجل عدل ، من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين .

أما الصحابة : فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه .

وأما التابعون : فأصحابه في السن ، وإن جازهم باسم الصحبة في أحد القولين .

وأما فقهاء الامصار : فكلهم على تعظيمه ، واعتبار خلافته ، والتلفّت إلى فتواه ، والانقياد إلى روايته ؛

وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء : فيقولون على أقدارهم .) [5]

وقد استشهد البخاري بحديثه وقرنه بالمسوّر بن مخرمة رضي الله عنه [6] ، وروى له حديثاً آخر عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم [7] .

* * *

---

(١) المستدرك ٤/٤٦٣ بسند صحيح اقره الذهبي
(٢) البخاري ٣/١٤١
(٣) البخاري ٣/١٣٧
(٤) البخاري ٣/٢٢١ وذكره في ٩/١١٩ أيضاً .
(٥) من كلام القاضي ابن العربي في كتابه الرائع : العواصم من القواصم ص ٨٩
(٦) البخاري ٣/١٢٤
(٧) البخاري ١/١٨٢

ويبدو أن أبا هريرة أحب في آخر حياته الانعزال عن صخب المجتمع الجديد في المدينة ، الذي قل فيه عدد الصحابة أهل الاتزان ، وكثر فيه الأعراب والغرباء والجند ، فاختار سكنى ذي الحليفة قرب المدينة [1] ، فأقطعه معاوية أرضاً هناك وفي الوادي المجاور لها المسمى بالعقيق ، فيما قيل .

ويستغل أبو رية جهل القارىء بهذين الموقعين ، فيهاجم أبا هريرة ، ويصور ما في هذا العطاء البسيط من محاباة ومكافأة لأبي هريرة ، وليس الأمر كما قال ، على فرض ثبوته .

فأما العقيق فوادٍ في جوار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، منبسط ، ليس فيه الا القليل من الزرع ، وانما سكنه بعض الصحابة ، كسعد ابن أبي وقاص ، لكونه ضاحية طيبة هادئة بعد إذا ازدحمت المدينة وكثرت فيها الأسواق والأعراب ، وإلا فلا أهمية خاصة لأرض العقيق ، إلا عند المؤمن ، فإنه واد مبارك ، كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما ذو الحليفة فموطن أجدب أجرد ليس فيه زرع ، يمر به الحجاج الآن حين نزولهم من المدينة إلى مكة ، على بعد عشرة كيلومترات من المدينة ، ويعرف اليوم بـ (آبار علي) ، ومنه يحرمون للحج .

وإذن ، فلو (كان لإقطاع أبي هريرة من بني أمية أصل لكان بأرض الشام ، أرض الجنات والبساتين ، لا أرض العقيق وذي الحليفة ، الصحراء القفراء الجدباء .) [2] .

فهذا وصف أهل الأهواء لعلاقة أبي هريرة بمعاوية .

أما الثقات العدول ، فيقولون إن معاوية لما قدم (يريد الحج ، تلقّاه أناس من أهل المدينة ، فقيل لأبي هريرة : ألا تركب فتلقى أمير المؤمنين ؟ فقال : إني أكره أن أركب مركباً لا أكون فيه ضامناً على الله .) [3] .

فوازن بين الوصفين يرحمك الله .

---

(١) اشار ابن ابي شيبة في المصنف ١٣٦/٢ إلى سكناه ذا الحليفة ، وكذلك ابن حبان ، كما في كتاب ترتيب ثقات ابن حبان للهيثمي ص ١٧٢

(٢) ظلمات ابي رية ص ١٨٥

(٣) زيادات نعيم في كتاب الزهد لعبدالله بن المبارك ص٥ عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير .